القضية الكردية في سياسة السوفيت تجاه تركيا (1924 - 1939)

الباحث / أ. سعود شلوان

ملخـص البحـث:

الأكراد مجموعة عرقية تعيش في غرب آسيا، وقد تعددت ثورات الأكراد بعد تأسيس الدولـة التركيـة الحديثـة خـلال الفتـرة (1924 – 1939)، وقد تـدخل الاتحاد السوفيتي فى تلك الثورات، حيث دعمت موسكو حكومة أنقرة فى صراعها مع الأكراد، وتتناول هذه الدراسة ذلك الموقف من خـلال عدد من المحـاور، أولاً: أوضـاع كردسـتان تركيـا قبيـل عـام 1924، ثانيًـا: تأسـيس الجمهوريـة التركيـة وموقف السوفيت من الأكراد، ثالثًا: موقف السوفيت من ثورات الأكراد فى تركيا.

Summary:

The Kurds are an ethnic group living in West Asia, and the Kurdish revolutions have multiplied after the establishment of the modern Turkish state during the period (1924-1939). A number of axes: First: the Kurds and the First World War, second: the Soviet Union, the Kurds and the establishment of the Turkish Republic, third: the Soviet Union and the Kurdish revolutions in Turkey.

الكُرْد أو الأكراد مجموعة عرقية وشعوب تتركز أساسًا في غرب آسيا، شمال الشرق الأوسط بمحاذاة جبال زاجروس في منطقة كُرْدِسْتَانِ الكبرى، وهي اليوم عبارة عن أجزاء من شمال العراق وشمال غرب إيران وشمال سوريا وتركيا، وينتشر الأكراد في تركيا في القسم الجنوبي الشرقي من تركيا، ويشكلون ثاني أكبر قومية بعد الأتراك، وتبلغ نسبتهم حوالي 20% من السكان، وتتميز المنطقة الكردية بأنها من المناطق ذات الموارد الطبيعية الجيدة إلا أنها تحوي مجتمعًا فقيرًا ومتخلفًا فى كثير من نواحي الحياة، ويعود هذا إلى السياسة الاقتصادية والاجتماعية التي اتبعتها الحكومات التركية المتعاقبة، أما حقوقهم الثقافية فهي معدومة، ولا يسمح لهم بالتعبير عن تقاليدهم وعاداتهم، بل إن الحكومة التركية لا تعترف بوجود الأكراد ككيان قومي مستقل، وتطلق عليهم تسمية (أتراك الجبال)[1].

وقد تعددت ثورات الأكراد بعد تأسيس الدولة التركية الحديثة خلال الفترة (1924 – 1939)، وتدخل الاتحاد السوفيتي فى تلك الثورات، حيث دعمت موسكو حكومة أنقرة فى صراعها مع الأكراد، وتتناول هذه الدراسة ذلك الموقف من خلال عدد من المحاور:

أولاً: أوضاع أكراد تركيا قبيل عام 1924.

ثانيًا: تأسيس الجمهورية التركية وموقف السوفيت من أكراد تركيا.

ثالثًا: موقف السوفيت من ثورات الأكراد فى تركيا.

أولاً: أوضاع أكراد تركيا قبيل عام 1924:

تحولت كردستان إلى ميدان للحرب نتيجة لدخول تركيا الحرب العالمية الأولى ضد الحلفاء وعلى رأسهم روسيا وبريطانيا، ثم غزو الجيش القوقازي الروسي شرق تركيا وتوغله في كردستان، فقد دخل الأكراد هذه الحرب تلبية لنداء الجهاد الذي أعلنته الدولة العثمانية، وأسفر هذا عن دفع الأكراد ثمنًا باهظًا نتيجة لتلبية هذا النداء، حيث تمكّن الأتراك توجيههم لقتال المسيحيين من الأثوريين والأرمن الذين تحالفوا مع الحلفاء، وقد أُصيب الأكراد بخسائر فادحة شأنهم في ذلك شأن الشعوب الأخرى التي تورطت في الحرب(2).

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى، وما تبعها من متغيرات جذرية في المنطقة، تطلع الأكراد بأمل كبير إلى حصولهم على حقوقهم المفقودة، لاسيما بعد إعلان مبادئ الرئيس الأمريكي "وودرو ويلسون (3) Woodrow Wilson" التي أكدت على حق تقرير المصير للشعوب(4).

وحينما وقعت الهدنة في الثلاثين من أكتوبر سنة 1918 بين تركيا وبريطانيا على ظهر الباخرة أجاممنون Agamemnon في البحر الأيجى كانت بريطانيا قد احتلت كل ما يعرف – الآن باسم كردستان العراق. وبعد الهدنة ظل الأكراد في تركيا على ولائهم للسلطة العثمانية، حيث جاهد الأتراك في تلك الفترة بالعمل على اكتساب ثقة الأكراد؛ فقد استمروا يرددون نغمة الأخوة الأكراد-الأتراك، وأن تركيا هي الوطن الأم للأكراد، ثم وعدوهم بتحقيق أهدافهم القومية(5)

.

بادر الباب العالي بتشكيل هيئة وزارية لدارسة القضية الكردية، والبحث عن طريقة إدارية تنفذ في كردستان بحيث لا تجعله يخرج من الإدارة العثمانية. وقد بادر بتوجيه الدعوة إلى أبناء بدرخان والزعماء الأكراد الآخرين للاشتراك في الهيئة الوزارية التى ستعقد جلساتها لدراسة هذا الموضوع، وقد تألفت الهيئة المشكلة لهذا الغرض من شيخ الإسلام إبراهيم أفندي الحيدري الكردي، ونائب الصدر الأعظم حينذاك عبوق باشا ناظر الأشغال، وعوني باشا ناظر البحرية. ومن أعضاء جمعية تعال كردستان الأمير أمين عالي بدرخان ومراد بدرخان والسيد عبد القادر أفندي الكيلاني – من أعضاء مجلس الأعيان لبحث المسألة الكردية، واجتمعت هذه الهيئة الوزارية في الباب العالي، وعقدت عدة جلسات، قررت في نهايتها الاتفاق الذى توصلت إليه وتقضى بمنح كردستان الاستقلال الذاتي بشرط قبول الأكراد البقاء في الجامعة العثمانية، واتخاذ التدابير الفعالة لإعلان هذا الاستقلال والشروع في تنفيذ مقتضاه حالاً.

ولكن حكومة فريد باشا (4 مارس 1919 - 16 مايو 1919) التي كانت تستند إلى الإنجليز كانت قد ماطلت في تنفيذ هذه المقررات، وبظهور مصطفى كمال أتاتورك[6] تغير الوضع بالنسبة للأكراد.

أرسل فريد باشا -الصدر الأعظم- مصطفي كمال رئيسًا لإحدى الفرق إلى الأناضول مع مجموعة مختارة من اثنين وأربعين ضابطاً، وكان مصطفي كمال قد اشترك في مفاوضات السلام لعقد الهدنة بين تركيا والحلفاء لفترة من الوقت، وقد ازداد استياؤه منه، وكان يدعوه " باستسلام الزعماء الأتراك في القسطنطينية للحلفاء في مدروس"[7] .

ثانيًا: تأسيس الجمهورية التركية وموقف السوفيت من أكراد تركيا

وفي عام 1919 عُقد مؤتمر الصلح بباريس، وخلال المؤتمر قام شريف باشا[8] بالاتصال بالدول الغربية، وسعى إلى إقامة دولة كردية تحت انتداب إحدى دول أوربا الغربية[9]، وبالرغم من إعلان السوفييت دعمهم لشعوب الشرقين الأوسط والأدنى، بما فيها الشعب الكردي، إلا أن السوفييت لم يقدموا أي دعم للكرد، بل على العكس وقف السوفييت ضد التطلعات الكردية، إذ اعتقدوا بأن القيادات الكردية أداة لتنفيذ الخطط البريطانية في المنطقة، لذا تصوروا أن تشكيل كيان كردي يعني توطيد نفوذ بريطانيا في المنطقة[10].

ولذلك حاول البلاشفة إقامة علاقة مع الحركة الكمالية؛ فزودوا القوميين الأتراك بالمساعدة، والمعونة العسكرية، وعلى ضوء ذلك التقارب، كانت بريطانيا تخشى من تقدم النفوذ السوفيتي في المنطقة[11]، لذا عملت بريطانيا على إيجاد سد منيع لوصول البلاشفة وأفكارهم من خلال تكوين دولة كردية مستقلة تحت معاهدة أو حسب اتفاقية، وعملت بريطانيا جاهدة لتحقيق ذلك في معاهدة سيفر[12].

دعى مصطفي كمال الوطنيين إلى الاشتراك في مؤتمر عام أصبح بمثابة جمعية وطنية في منتصف سنة 1919، وقد وضع الأتراك أسس هذه الجمعية الوطنية في مجلس الوزراء صلاحية القيام بنقل كل الأشخاص الذين كانوا زعماء وبيكات وأغوات وشيوخًا للقبائل فضلاً عن الأشخاص الذين يشك في كونهم جواسيس بالقرب من الحدود والأشخاص الذين كانوا يتمتعون بمكانة بارزة في شرق الأناضول إن نية تشتيت وتدمير الأكراد كشعب تدل عليها بكل وضوح العبارة التى وردت في القانون التركي، والتي تنص على: "أن الأشخاص الذين يتكلمون لغة وطنية خاصة غير اللغة التركية ، يمنعون من تأسيس أي قرى جديدة أو أحياء أو تجمعات سكنية، ويحظر عليهم الانتفاع من احتكار أي مهنة أو فرع من فروع الأعمال" . وكل هذه السياسة مخالفة لالتزامات تركيا الدولية، وخاصة لمعاهدة لوزان، وهكذا فالأتراك الذين لم يمض وقت قصير على كفاحهم من أجل

حـريتهم عمـدوا إلـى سـحق الأكـراد الـذين سـعوا بـدورهم إلـى نيـل حـريتهم، ومـن الغريب أن تنقلب الأمة المدافعة إلى قومية معتدية، وينقلب الكفاح من أجل الحرية إلـى كفـاح مـن أجـل الـتحكم بـالآخر، هـذا هـو بالضـبط مـا فعلتـه الحركـة الكماليـة بالشعب الكردي بعد نجاحها، هذا النجاح الذى يدين بـالكثير للأكـراد الـذين سـاهموا في تحقيقه بقسط كبير[13] .

وفـي العاشـر مـن أغسـطس 1920 عُقدت معاهدة سيفرSEVER بـين حكومة السلطان الضعيفة ودول الحلفاء، وجـاءت معاهدة سيفر؛ لتعطـي أمـل آخـر للأكراد بتحقيق طموحاتهم، حيث نصت المـواد (62،63،64) فـي المعاهدة علـى تشكيل لجنة دولية تتولى الإشراف على إقامة منطقة كردية ذات حكم ذاتي برعايـة عصبة الأمم في جنوب تركيا وشرقي نهر الفرات[14].

وقد عملت كل من بريطانيا وفرنسا من خلال هذه المعاهدة علـى اسـتخدام الورقـة الكرديـة فـي الوقـوف ضـد المـد الثـوري للشـيوعيين، حيـث كانـت الـدولتان تنويان إقامـة دولـة كرديـة تكـون بمثابـة الفاصـل بـين تركيـا وروسـيا السـوفيتية مـن جهة، ولكونهـا تقـع قـرب حقـول الـنفط فـي القوقـاز فهـي قاعـدة إسـتراتيجيتيه يمكـن استخدامها ضد الاتحاد السوفيتي [15].

قاوم مصطفى كمال نصوص هذه المعاهدة، وتوصل إلى اتفاق مع الأكراد يقضـي بتعاونهم معه في التخلص من القوات الفرنسية واليونانية، التي كانـت تحتـل غرب البلاد، فـي مقابـل الوعـود التـى قدمهـا "مصـطفي كمـال" بتحسـين أوضـاعهم السياسية والاقتصادية [16]؛ لذلك ألقى الأكراد بثقلهم إلى جانب مصطفي كمـال فـي المعركة الدائرة بينه مـن جهـة، وبـين الأرمـن واليونـانيين مـن الجهـة الأخـرى. فقد قـرر مـؤتمر قـادة الحركـة الكرديـة سـنة 1920 العطـف علـى الحركـة الكماليـة، والتعـاون الوثيـق مـع الحركـة القوميـة التحرريـة للشـعب التركـي. وإيفـاءً لتعهـدات المؤتمر فقد شكلت القطاعات الكردية المسلحة القسم الأساسـي مـن الجيش التركـي أثناء محاربته بريطانيا وفرنسا واليونان، وقد أشاد قـادة الأتـراك بـدور الأكـراد فـي تحريـر تركيـا، ومـنهم مصـطفي كمـال باشـا نفسـه، وعصـمت أينونـو وفتحـي بـك وحسين بك عوني. الذي أشار في خطاب لـه في المجلس الـوطني التركـي الكبيـر " إن حق التكلم من فوق هذه المنصة هو للأمتين التركية والكردية " كمـا قـال وزيـر الدفاع التركي عند إلقاء خطاب علـى قبـر الجنـدي المجهـول " أغلـب الظـن أن هـذا الجنـدي كـردى "، فـي نفس الوقـت الـذى كـان يعقـد فيـه مـؤتمر الكمـاليين المسـمى بمؤتمر الدفاع عن الحـق " جمعيـة الـدفاع عـن حقـوق الأناضـول وروميليـا "[17] ، وبعد نجاح الأتراك في تحرير أراضيهم المحتلة بعد الحرب جاءت معاهدة لـوزان 1923م لتعتـرف بالدولـة التركيـة الحديثـة التـى أعلنهـا مصـطفي كمـال، أهملـت الوعود التي أعطتها للأكراد [18]،

وبـذلك حصـل مصـطفي كمـال علـى اعتـراف دولـي بحكومتـه وبدولتـه الجديدة؛ فسارع إلى القيام بعدة إجراءات منها إلغاء الخلافة الإسلامية التي كانت متمثلـة بالسـلاطين العثمـانيين، وبـدأ فـي انتهـاج سياسـة تتريـك البـلاد، وإلغـاء كـل الهويات الأخرى، ومنها الكرد الذين منعوا من التحدث بلغتهم أو إقامة شعائرهم الخاصة، أو ارتداء زيهم التقليدي، وبدأت حكومة أنقرة خطة لإصلاح المناطق الشرقية (حسب وجهة النظر التركية) من البلاد والتي تسكنها الغالبية الكردية، وقد بدأت بإصدار قانون حظر استخدام اللغة الكردية في الأماكن العامة، كما أصدرت قـانون التـوطين الإجبـاري الـذي ينص علـى نقل مجموعـات سـكانية كرديـة مـن المناطق الشرقية وتوزيعها في المناطق الغربية، وبذلك سعى أتاتورك في إجرائه هذا إلى تفتيت الأكراد وصهرهم في المجتمع التركي، وإلغاء هويتهم الخاصة[19].

لـم تقتصـر مسـاعدة الأكـراد لمصـطفي كمـال علـى السـاحات الشـرقية والجنوبية وحسب بل تعداه إلى معارك التحرير ضد الجيش اليوناني؛ ففي السادس والعشرين من أغسطس 1922م، حينما بدأ الجيش التركي يتحرك للأمام ضد اليونـــانيين فيمـــا أصـــبح يعـــرف عنـــد الأتـــراك بـــالهجوم العظـــيم The Great Offensive امتدت جبهات الهجوم من اذنيك Iznik إلى أفيون قره حصـار وقاتـل الأكـراد إلـى جانـب الأتـراك فـي معـارك سـفاريا وافيـون قـره حصـار وأيـن أونـى "أينونـو"، وهـى المعـارك الكبـرى التـى نـتج عنهـا الانتصـار النهائي للكماليين، وانتصار اليونانيين، حين أعلن مصطفي كمال في 18 سبتمبر سنة 1922 أن الجيش اليوناني قد دمر كليا ولا يجهل أحد دخول فرق الخيالة الكردية مدينة أزمير في مقدمة الجيش التركي الكمالي ورميها الجيش اليوناني في البحر. ولكن رغم مساعدات الأكراد سرعان ما تنكر الأتراك لهذه المساعدات مما دفع الأكراد للثورة[20] .

ثالثًا: موقف السوفيت من ثورات الأكراد في تركيا

كان هناك ردّ فعل سيئ للسياسة التركية تجاه الأكراد؛ فقد بدأوا بمحاولة مواجهة هذه الإجراءات والتمرد ضد الحكومة، فكانت انتفاضة الشيخ سعيد بيران عـام 1925، الانطلاقـة للحركـة الكرديـة ضـد الجمهوريـة التركيـة، وجـاء رد الحكومة التركية عنيفًا في استخدام القوة للقضاء على الانتفاضة، وأصدر رئيس وزراء تركيـا عصـمت أينونـو بيانًـا خاصًـا جـاء فيـه " نحـن قوميـون بصـراحة والقومية عنصر تماسكنا والعناصر الأخرى لا تأثير لها أمام الأغلبية التركية، ويجـب تتريـك سـكان هـذا البلـد بـأي ثمـن كـان وسـوف نبيـد كـل مـن يعـارض الأتراك"[21].

عاد زعماء تركيا وتنكروا لوعودهم للأكراد بمجرد نجاحهم في التخلص من الاحتلال اليوناني، وعقد معاهدة لوزان في الرابع والعشرين من يوليو 1923، بل بدأوا باتخاذ إجراءات معادية للأكراد، فقد حرموا استخدام اللغة الكردية، ونقلوا زعماء الأكراد من بلادهم إلى جهات أخرى، وقد تمادى الأتراك حيث أطلقوا على الأكراد اسم " أتراك الجبال "، وأصدروا القوانين التى تطبع ذلك بطابع دستوري، حيث نصت المادة 88 من الدستور التركي صراحة على أن "جميع سكان تركيا بغض النظر عن ديانتهم وقومياتهم – أتراك"، وفسّرت الصحافة التركية هذه المادة، فقالت بصريح العبارة " إنه يجب على غير الأتراك إما أن يندمجوا في المجتمع التركي، أو أن يرحلوا "، لذلك لم يكن عجيبًا أن يعمل الأتراك على القضاء على كل محاولات الأكراد للتعبير عن رغباتهم القومية في إقليمهم رغم تناقض هذه السياسة مع نصوص معاهدة لوزان نفسها، لذلك اضطر الأكراد إلى خوض النضال المسلح للدفاع عن كيانهم ووجودهم ولمقاومة عمليات التهجير الجماعية وتتريك كردستان، وعلى أساس أن هذه الأرض التى يعيشون عليها هي أرضهم وهم يعيشون عليها قبل مجيء العثمانيين للاستيطان فيها واتخاذها دولة لهم، حيث وفد الأتراك إليها في القرن السابع إلى الحادي عشر الميلادي، ليجدوا الأكراد فيها منذ آلاف السنين[22] .

وفيما يتعلق بالموقف السوفيتي، فقد نظر السوفيت إلى هذه الحركة على اعتبار أنها حركة غربية، الهدف منها تنفيذ المصالح البريطانية في المنطقة، وللتصدي للمصالح البريطانية وخططها في المنطقة قدم الاتحاد السوفيتي كل المساعدات للحكومة التركية في سبيل قمعها[23].

كان الأتراك يعلمون أن الشيخ سعيد بيران هو من الذين يعملون في المنطقة ضد الأتراك فأمروا بإحضاره لاستجوابه حيث، كان يسكن في قرية " خنس " القريبة من ارضروم فاعتذر الشيخ عن إطاعة أمر الإحضار، ثم ترك القرية حاجاً إلى أضرحة أسلافه في " يالو "، وأخذ عدد كبير من الأكراد يتجمع حوله أثناء سيره كما جرت به التقاليد، ولكن التجمع كان أعظم بكثير من المعتاد. وما لبث الشيخ سعيد أن وجد نفسه محاطاً بجيش من الأنصار والموالين. ولما بلغ هذا الجمع الحاشد بلدة بيران اعتقلت السلطات التركية المحلية عدداً منهم، فقابل أنصار الشيخ ذلك بقتل عدد من رجال الدرك. وهكذا اندلعت نيران الثورة في السابع من مارس 1925 قبل الميعاد المقرر لها بمدة خمسة عشر يوماً. إذ تردد صوت الرصاص الذى أطلق في بيران في الأنحاء الأخرى من كردستان تركيا، وبادر خالد بك ومن معه من الضباط الأكراد الذين كانوا بعيداً عن بيران إليها للإشراف على الثورة، وقد اشترك أبناء بدرخان جلادت وثريا وكاموران بدرخان

في هذه الثورة، حيث غادروا ألمانيا إلى تركيا خلسة وظلوا مدة في القرى ينظمون مع زملائهم الحركات العسكرية، كما شارك في هذه الثورة الأكراد اليساريون والمحافظون الذين يعبرون عن سخطهم على سياسة الكماليين الدينية والفرسان الأكراد من كل أرجاء كردستان تركيا[24] .

وقد نشرت الصحافة التركية أنباء عن حركات كردية في المنطقة الواقعة بين بتليس وديار بكر شمال خط بروكسل قبل قيام الثورة، لذلك واجه مصطفي كمال هذه الحركات بعنف بالغ حتى لا يتسع أمرها وينتهزها المعارضون لنظام مصطفي كمال فرصة لإعلان الثورة أيضاً في استانبول، ففي الثالث من مارس سنة 1925 حلّ عصمت باشا أينونو محل على فضي كرئيس للوزراء. وقد استصدر قراراً من الجمعية الوطنية بإعلان الأحكام العرفية في الرابع من مارس، وبمقتضاها أعطت للحكومة سلطات استثنائية لمدة سنتين، وحينما بدأ القتال بدأت القوات التركية تتدفق على كردستان، وقد تشعبت الحشود التى تحيط بالقوات الكردية إلى ثلاثة أرتال تحرك أولها إلى أرضروم وثانيها إلى العزيز والثالث زحف نحو ديار بكر. كما أرسلوا جيشاً كبيراً بالسكك الحديدية عن طريق حلب ليهاجم الأكراد من الجنوب وقد وجد الأكراد أنفسهم بين نارين فانسحبوا تاركين مواقعهما أدى إلى فشل ثورتهم[25] .

دفعت المساعي التركية للقضاء على الانتفاضة إلى توتر علاقتها مع إيران، بعد أن توغلت القوات التركية داخل الأراضي الإيرانية لملاحقة الثوار[26]، ومما زاد من توتر العلاقات بين البلدين سماح الحكومة الفارسية لعدد من زعماء الثورة الكردية باللجوء إلى فارس، وكان من بينهم "على رضا بن الشيخ سعيد بيران"[27].

وقد أدي ذلك إلى توتر العلاقات بين البلدين، وبدأت بوادر الحرب تلوح في الآفاق، وفي ظل هذه الأجواء طلبت وزارة الخارجية التركية في يونيو 1925، وساطة الاتحاد السوفيتي لمنع نشوب نزاع مسلح بين البلدين، وعرضت عقد مواثيق ضمان تعقد بين تركيا والاتحاد السوفيتي، ثم بين الاتحاد السوفيتي وبلاد فارس، وتقضي هذه المواثيق بعدم المساس بالحدود مع إمكانية إقامة تعاون مشترك، وأوضح وزير الخارجية التركية إلى السفير السوفيتي في تركيا أن بلاده لا تخشي فارس، ولكنها تسعي لمنع تحولها إلى جسر للعدوان من جانب بريطانيا[28].

رحبت الحكومة السوفيتية بهذه الدعوة، إن لم يكن لغرض إنهاء النزاع بين البلدين، فلتخفيف هذا النزاع لمنع بريطانيا من استغلاله للتدخل في شئون البلدين،

ولكن سرعان ما هدأ التوتر وانتفت الحاجة إلى الوساطة السوفيتية لعقد مواثيق الضمان، بعد أن تمكنت تركيا من القضاء على انتفاضة الشيخ سعيد [29].

ومع مطلع عام 1927م عادت الاشتباكات بين القوات التركية وكرد تركيا في جبال "ارارات"، واشترك أكراد إيران في المعارك ضد القوات التركية، ونتيجة لذلك وجهت تركيا إلى طهران اتهامات بتحريض الكرد، واقترحت عليها القيام بعمل مشترك ضدها، لكن رضا شاه[30] لم يستجب لهذه الدعوة[31].

ومع استمرار تصاعد التوتر على الحدود أعلنت تركيا في يونيو 1927م بأنها لا تعد نفسها مرتبطة بالبروتوكول الموقع عام 1913م -من قبل روسيا وبريطانيا والدولة العثمانية وفارس- الذي عين خط الحدود التركية - الفارسية[32]، ومنذ ذلك الوقت قامت القوات التركية بمطارة الثوار الكرد إلى داخل الأراضي الإيرانية، وأدت هذه التحركات إلى تصاعد الصراع التركي-الإيراني على الحدود [33].

في ظل هذه الأزمة قام الاتحاد السوفيتي بالتوسط بين تركيا وإيران لتوحيد جهودهما ضد الحركة الكوردية في تركيا بهدف القضاء عليها، وأكدت الاستخبارات السوفيتية(KGB-OGPU فيما بعد)، بأن الغاية من حركة آرارات هي تأسيس حكومة كردية تجمع كرد العراق وإيران وتركيا[34].

استمرت ثورات الأكراد حتى بعد القضاء على ثورة الشيخ سعيد بيران 1925م يؤيد ذلك ما ذكره عصمت باشا أينونو رئيس الوزراء التركي في خطبة ألقاها في حفل افتتاح سكة حديد سيواس / أنقره في 5 أغسطس 1930، والتي ذكر فيها " أن الفتنة التى تدور رحاها منذ خمس سنوات في الولايات الشرقية بإغراء وإفساد المقيمين بالخارج فقدت ابتداءً من اليوم " نصف قوتها".

على أية حال، عُقد مؤتمر كردى عام 1927، انبثقت عنه فكرة تأسيس اللجنة الوطنية الكردية المعروفة باسم خوئيون، والتي أقسم أعضاؤها على استمرار الكفاح في سبيل تحرير كردستان، ولقد عهد بتنظيم حملة المطالبة بالاستقلال إلى ضابط قديم يدعى إحسان نورى باشا، حيث بدأ باختيار أرارات كنقطة ارتكاز يبدأ منها أعمال العسكرية، وقد اندلعت الأعمال العسكرية في الفترة من 13 يونيو حتى 13 يوليو سنة 1930، حيث شملت ثورة الأكراد أيغدير وتندرك وأرجيش وديار بكر وبوتان ووان وبتليس[35].

أخذ الأتراك في الاستعداد حول جبل أرارات للقضاء على الثورة ابتداءً من أواخر أبريل سنة 1930، وكانت القوات التركية الزاحفة من ولاية حكاري ومنها إلى شمزينان تحرق كل قرية للثوار وكذلك فعلت القوات التركية بقيادة كمال الدين سامى باشا التى زحفت من ولاية وان إلى منطقة جالديران وبعد معارك

دامية قضى الأتراك على هذه الثورة وفر إحسان نورى إلى إيران لاجئاً سياسياً وفشلت ثورة إحسان نورى " أرارات "[36] .

في ظل هذه الجهود وقعت تركيا وإيران في الخامس عشر من يونيو 1928م ميثاق عدم اعتداء يكون ملحقاً لمعاهدة عام 1926م، أهم ما جاء فيه: "أنه في حالة استهداف إحدى الدولتين من جانب دولة أجنبية تبذل الدولة المتعاقدة جهدها لمساندة الدولة الأخرى، كما تضمن الاتفاق إعادة النظر في موقفهما السياسية من آونة إلى أخري بقصد اتخاذ التدابير اللازمة لحماية مصالحهما"[37].

ما إن قضت تركيا على حركة إحسان نورى سنة 1930 حتى بدأت القلاقل ضد السلطة التركية من جديد وقد غذاها الأزمة الاقتصادية العالمية 1929/ 1932م حيث جاءت بنتائج وخيمة على الأوضاع الاقتصادية للكادحين في تركيا بوجه عام وكردستان في شرقها على وجه الخصوص، فعم الفقر وسادت البطالة وتردى المستوى المنخفض لمعيشة الفلاحين كل ذلك فضلاً عن سياسة الاضطهاد والعنف التى كانت السلطات التركية تنتهجها[38]، والتي كان من أهم مظاهرها استئناف حركة التهجير إلى خارج كردستان مما دفع الأكراد للثورة على السياسة التركية ولم تكن العمليات العسكرية التى يطلق عليها اسم " الثورة " خلال هذه الفترة في الواقع وفي أغلب الأحيان إلا مقاومة ضد تهجير مناطق قرى وقبائل برمتها ففي أواخر 1930 وبداية 1931 انبثقت حركة مناوئة للأتراك قام بها أعوان الشيخ سعيد النقشبندية وفي 1932 حاكمت المحكمة العسكرية في أردوم ابن الشيخ سعيد بيران والذى قدم إلى تركيا من العراق، ولكنه عفي عنه واشترك فيما بعد في ثورة " درسيم " وفي 1933 سجلت حملة قام بها الشيخ فخرى في ضواحي ديار بكر، وفي سنة 1934 أصدرت المحاكم العسكرية التركية سلسلة من أحكام الإعدام والأشغال الشاقة المؤبدة[39] .

وبالرغم من ذلك فإن الأكراد استمروا في ثورتهم، وأطلقوا انتفاضتهم الثانية التي أطلق عليها انتفاضة آكري داغ عام 1930م، وبالمقابل فان الحكومة التركية جهزت قواتها جيدا واستعملت الأسلحة المتطورة لديها فضلا عن القسوة في القصف المدفعي مما أدى إلى إجهاض الانتفاضة، وأعلن أينونو بعد القضاء على الانتفاضة "إن للأمة التركية وحدها الحق في المطالبة بالحقوق العرقية في هذا البلد وليس لأي عنصر أخر هذا الحق"[40].

في تلك الأثناء قام الاتحاد السوفيتي بخطوة من شأنها الوقوف ضد تشجيع الكرد على الثورة ضد الحكومة التركية، فقد أصدر ستالين[41] بطلب من تركيا وكمال أتاتورك أيضا قرارا بوضع نهاية للإدارة الذاتية لما يعرف بـ"الجمهورية الكردية الحمراء" في الاتحاد السوفيتي بأذربيجان في عام 1930م[42]، والتي كانت تعد بارقة الأمل لدى الشعب الكردي للمطالبة بحقوقه القومية في كوردستان

تركيا والعراق وإيران وسوريا، وتعرض نتيجة لذلك الكرد في الاتحاد السوفيتي إلى التهجير والترحيل عن أراضيهم، ومناطق سكناهم إلى مناطق متباعدة في الاتحاد السوفيتي، وتم إلغاء جميع ما حققوه من منجزات على الصعيد القومي خلال السنوات المنصرمة (43).

غير أن الإجراءات التعسفية التركية لم تمنع الأكراد من مواصلة مقاومتهم ضد الإجراءات الحكومية، فقاموا عام 1937م بانتفاضة درسيم بقيادة الشيخ "رضا" غير أنها فشلت هي الأخرى وأعدم قادتها، وغُير اسم منطقة درسيم إلى تونجلي عقابا لأهلها، والقى "أتاتورك" على إثر ذلك خطابا قال فيه " إني سعيد بأن يعلن أننا لم ولن نسمح بأي فرصة لخلق عراقيل تحول دون مضي أمتنا في تحقيق أعلى مستوى من المدنية والسعادة الذي تستحقه" (44).

وفي ظل العلاقات المتوترة بين تركيا والاتحاد السوفيتي (45)، فقد اتهمت تركيا السوفييت بأنهم وراء تلك الحركة، وأن هذه الانتفاضة أعد لها عملاء موسكو منذ مدة طويلة بغرض خلق الصعوبات أمام تركيا(46).

استمر الأتراك في إتباع سياسة إخضاع الأكراد بالقوة وقابل الأكراد تلك السياسة بالتصميم على أن يكون لهم إدارتهم وحكمهم الذاتي وتطبيقاً للسياسة التركية أسسوا عدداً كبيراً من مراكز الشرطة في قلب كردستان التركية، وقد سبب ذلك تمرداً كردياً آخر يقوده هذه المرة سيد رضا في إقليم درسيم في صيف 1937، وقد تصدى الأتراك على الفور للحركات العسكرية الكردية حيث أرسلوا قوات تركية في اتجاه درسيم دمرت قرى ومناطق برمتها واستمرت أعمال العنف لأكثر من أربعة أشهر حيث قضت تركيا في النهاية على الثورة وانتزعت سلاح الأكراد، وبدأت حرباً للقضاء على القومية الكردية، وأعلنت أنه لا يوجد في تركيا مسألة كردية وقد اشترك أكراد سوريون إلى جانب أكراد تركيا في هذه الثورة، وقد شرعت الحكومة التركية بنشر معلومات عن قيام الاتحاد السوفييتي بتذويد قواد درسيم بالمال والسلاح، ولا يهم الناس أن الثورة قد نشبت نتيجة للتحريض الخارجي، ومن ثم إلى إقناع الرأي العام التركي، والعالمي بأن الإجراءات القاسية التى اتخذتها السلطات التركية لها ما يبررها، وكذلك بث الرعب في قلوب الحكومتين العراقية، والإيرانية بغية ضمان تعاونهما لفتح الطريق أما عمليات مشتركة ضد الأكراد ثم أرادت الحكومة التركية من وراء ذلك خلق جو معاد للاتحاد السوفييتي كانوا بحاجة إليه بغية التقرب من ألمانيا النازية وبعد القضاء على الثورة أعدم الأتراك سيد رضا مع عشرة من رفاقه بتهمة السرقة والقتل(47) .

وبالرغم من ذلك فإن الاتحاد السوفيتي كان حريصاً على تجنب التورط في هذه المشكلة، فقد التزمت الصحافة السوفيتية الصمت التام تجاه انتفاضة

ديرسيم، ومن الواضح أن الاتحاد السوفيتي كان يتطلع إلى جذب تركيا إلى جانبه في ظل الوضع الدولي المتأزم، لذا حرصت موسكو على تجنب كل ما قد يؤدي إلى ازدياد التوتر في العلاقات بين البلدين(48).

ومن الواضح أن الاتحاد السوفيتي وقف بشكل كامل ضد التطلعات الكردية حرصاً على علاقته مع تركيا، وخشيته من أن تستغل الدول الغربية هذه القضية لتهديد أمن الاتحاد السوفيتي.

الخاتمـــة

خرجت الدراسة بأنه في أعقاب نشوب الثورة الشيوعية فى روسيا عام 1917، حاول البلاشفة إقامة علاقة مع الحركة الكمالية؛ فزودوا القوميين الأتراك بالمساعدة، والمعونة العسكرية، وعلى ضوء ذلك التقارب، كانت بريطانيا تخشى من تقدم النفوذ السوفيتي في المنطقة.

وفي أعقاب حصول مصطفي كمال على اعتراف دولي بحكومته وبدولته الجديدة؛ وسارع بإلغاء الخلافة الإسلامية، وانتهج سياسة تتريك البلاد، وإلغاء كل الهويات الأخرى، ومنها الكرد الذين منعوا من التحدث بلغتهم أو إقامة شعائرهم الخاصة، أو ارتداء زيهم التقليدي.

كما توصّلت الدراسة إلى رفض الاتحاد السوفيتي لانتفاضة الشيخ سعيد بيران عام 1925، واعتبارها انتفاضة مدعّمه من القوى الغربية، تهدف إلى تنفيذ المصالح البريطانية في المنطقة، لذا قدمت موسكو كل المساعدات للحكومة التركية في سبيل قمعها، وفى عام 1927 عندما قامت القوات التركية بمطاردة الثوار الكرد إلى داخل الأراضي الإيرانية، تدخل الاتحاد السوفيتي وتوسط بين تركيا وإيران لتوحيد جهودهما ضد الحركة الكردية في تركيا بهدف القضاء عليها، وأكدت الاستخبارات السوفيتية، بأن الغاية من حركة آرارات هي تأسيس حكومة كردية تجمع كرد العراق وإيران وتركيا. وخلاصة القول إن الاتحاد السوفيتي كان حريصًا على تجنب التورط في هذه المشكلة؛ لأن موسكو كانت تتطلع إلى جذب تركيا إلى جانبها في ظل الوضع الدولي المتأزم، لذا حرصت على تجنب كل ما قد يؤدي إلى ازدياد التوتر في العلاقات بين البلدين.

هوامش الدراسة

(1) مجيـد جعفـر: كردسـتان تركيـا دراسـة اقتصـادية اجتماعيـة سياسـية فـي تحـت التخلـف الاستعماري، العراق، مؤسسة حمدي للطباعة والنشر، 2006، ص ص88-91.

(2) حامد محمود عيسى على، المشكلة الكردية في الشرق الأوسط منذ بدايتها حتى عام 1991، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1992، ص 27.

(3) توماس وودرو ويلسون (1856 – 1924) سياسي وأكاديمي أمريكي شغل منصب الرئيس الثامن والعشرين للولايات المتحدة (1913 – 1921)، ينتمي للحزب الديمقراطي، وترأس جامعة برينستون، وكان حاكما على ولاية نيوجيرسي، وكان خلال رئاسته أحد أهم رموز الحركة التقدمية في البلاد، وقاد البلاد خلال الحرب العالمية الأولى، وكان منهجه السياسي خلال تلك الفترة معروفا باسم الويلسونية. أصيب خلال أواخر فترته الثانية بجلطة أثرت على عمله السياسي، ومات بعد ثلاث سنوات من تركه المنصب.

Blum, John Morton: Woodrow Wilson and the Politics of Morality. Boston: Little, Brown, 1956, p. 1-10.

(4) قادر سليم شمو: موقف الكرد من حرب الاستقلال التركية 1919-1922، العراق، دار سبيريز للطباعة والنشر، 2008، ص ص205-210.

(5) حامد محمود عيسى، مرجع سابق.

(6) ولد مصطفى كمال فى عام 1881، وقيل 1880،فى مدينة "سالونيك" لأب يعمل فى تجارة الأخشاب يسمى على رضا وأم تسمى زبيدة ، وعندما توفى والده أرسلته إلى مدرسة ملحقة بأحد المساجد ليتلقى علوم القرآن، ثم أرسلته للمدرسة الحربية فى سالونيك عام 1893وفى هذه المدرسة أطلق عليه أحد أساتذته لقب "كمال"حتى لايحدث لبثًا بين أسمه هو وأستاذه

الذي يسمى مصطفى، تعلم الفرنسية، وقرأ كتب فولتير وروسو وغيرهما ، تخرج من كلية أركان الحرب الكبرى فى استانبول عام1905 برتبة ملازم، ثم رقى إلى يوزباشى، شارك فى حرب طرابلس 1911-01912)، وفى الحرب العالمية الأولى (1914-1918) حيث نال شهرة واسعة أثناء قيادته للقوات العثمانية فى معركة الدردنيل، تزعم الحركة الوطنية فى الأناضول بعد هزيمة الدولة فى الحرب العالمية الأولى، ألغى السلطنة عام 1923، وأعلن الجمهورية، واختير أول رئيس للجمهورية التركية، ثم ألغى الخلافة فى 3 مارس 1924، سار بالجمهورية التركية الناشئة نحو العلمانية الغربية، مات عام 1938. للمزيد : الرجل الصـــنم :ص ص: 36-136؛

Irfan ,Orga : The rise of modern turkey , London,1958,PP.28-34.

(7) Kirk, Goerge: The middle East in the war 1939, 1946, P. 241.

(8) شريف باشا (1865-1951): هو أحد أبرز زعماء الكرد السياسيين خلال النصف الأول من القرن العشرين، شغل منصب وزيرا" مفوضا" للدولة العثمانية في السويد بين السنوات 1898-1908، ارتبط اسمه بمؤتمر الصلح بباريس 1919-1920 الذي حضره شريف باشا باعتباره ممثلا" عن الشعب الكردي، حيث طالب بتشكيل دولة كوردية، واستمرت جهوده خلال ثلاثينات والأربعينيات من القرن الماضي دون نتيجة تذكر، توفي في باريس في ديسمبر 1951. للمزيد من التفصيل انظر: صالح محمد حسن: "عزت بادي" شريف باشا، العراق، دار سبيريز، 2005، ص15 وما بعدها.

)9(F.O 371/6347, The High Commissioner of Iraq to The Secretary of State for The Colonirs, 26 October 1921.

(10) قادر سليم شمو: المرجع السابق، ص218.

(11) سروه اسعد صابر: كردستان من بداية الحرب العالمية الاولى إلى نهاية مشكلة الموصل، العراق، مؤسسة موكرياني، 2001، ص 109.

(12) قادر سليم شمو: المرجع السابق، ص ص187-190.

(13) جـلال الطالبـانى، كردسـتان والحركـة القوميـة التحرريـة، دار الطليعـة، بيـروت 1971، ص100-114.

(14) قادر سليم شمو: المرجع السابق، ص ص205-210.

(15) بـدر حسـن الشـافعي: الاتحـاد الأوربـي والقضـية الكرديـة، مجلـة السياسـة الدوليـة، ع 135، القـاهرة، مركـز البحـوث والدراسـات الإسـتراتيجية بـالأهرام، ينـاير 1999، ص ص 60-62.

(16) كمـال مظهـر: انتفاضـة 1925 فـي كردسـتان تركيـا، بيـروت، د. ن، 2001، ص ص 14-16.

(17) حامد محمود عيسى، المصدر السابق

(18) ميهظان محمد حسين: موقف الاتحاد السوفيتي من القضية الكوردية في العراق 1945-1968، رسـالة ماجسـتير غيـر منشـورة، كليـة الآداب، جامعـة الموصـل، 2006، ص ص20-21.

(19) كمال مظهر: المرجع السابق، ص ص18-23.

(20) جلال الطالباني: المصدر السابق

(21) م. س. لازاريف: النضال والأخفاق "المسألة الكردية فى سنوات 1923–1945"، ترجمة: صادق الجلاد، كردستان، العراق، بنكه ى زين لإحياء التراث الوثائقى والصحفى الكردي، 2006، ص69–71.

(22) هؤكر طاهر توفيق، قومية بلا عنوان، مؤسسة موكريانى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2006، من صـ65 : صـ70

(23) ميهظان محمد حسين: المرجع السابق، ص27.

(24) جرجس فتح الله: يقظة الكرد، دار ئاراس للطباعة والنشر، من ص ص 37–40.

(25) حامد محمود عيسى، المرجع السابق

(26) م. س. لازاريف: المرجع السابق، ص70.

)27(F.O., 371/10835, From Sir. P. Loraine to Consul Gilliat Smith, Tehran, 7 October 1925.

(28) م. س. لازاريف: المرجع السابق، ص ص71–72.

(29) المصدر نفسه: ص ص71–72.

(30) رضا شاه: ولد رضا شاه عام 1877م بإقليم مازندران، والتحق في عام 1893م بقوات القوزاق الإيرانية، وتدرج في مناصب عديدة بسبب شجاعته وكفاءته العسكرية، وفي 1918م عين قائداً لقوات القوزاق المرابطة في همدان، وفي 21 فبراير 1921م قاد انقلاباً عسكريا ضد الأسرة القاجارية، وشغل منصب وزير الحربية بين عامي 1921– 1923م، وفي أكتوبر 1923م أصبح رضا خان رئيساً للوزراء، وفي 31 أكتوبر 1925م خلع رضا خان أحمد شاه القاجاري، ونصب نفسه شاهاً جديداً لإيران، استمر في الحكم حتى عام 1941.

عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د. ت، ص ص820-822.

(31) F.O., E 1865/74/65, No. 192, From Sir G. Clerk to Sir Austen Chamberlain, 20 April, 1927 .

م. س. لازاريف: المرجع السابق، ص ص202- 203.

)32(F.O., E 3044/2822/34, No. 352,, From Sir G. Clerk to Sir Austen Chamberlain, 6 July, 1927.

Ibid: E2822/2822/34, From Sir Austen Chamberlain to Sir R. Clive (Tehran), 12 July, 1927.

(33) F.O.: E 4398/2822/34, From Sir G. Clerk to Sir Austen Chamberlain, Constantinople, 13 October, 1927.

(34) ميهظان محمد حسين: المرجع السابق، ص30.

)35(Laqueer , Walter , Minorities n Arab world , p. 127-129.

(36) حامد محمود عيسى، المرجع السابق .

(37) F.O., E 3221/364/34, No. 303, From Sir G. Clerk to Sir Austen Chamberlain, 20 June, 1928.

(38) إبـراهيم الـداقوقى: أكـراد تركيـا، دار المـدى للثقافـة والنشـر، ط1، 2003، ص ص 171-180.

(39) مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية، كاوا للثقافة الكردية، لبنان، ط1، 1986، ص ص 18-33.

(40) ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث، ترجمة: راج آل محمد، بيروت، دار الفارابي، 2004، ص ص321–322؛ روبـرت أولسـن: المسـألة الكرديـة فـي العلاقـات التركيـة – الإيرانيـة، ترجمة: محمد إحسان، كردستان، العراق، دار ئاراس للطباعة والنشر، 2001، ص38.

(41) ستالين: و هو جوزيف فيساريونوفتش دوجا شفيلي، ولد ببلدة جورجي بالقرب من تفليس في جورجيا، بعد قيام ثورة أكتوبر انتخب عضوا في المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي وعين وزيرا للقوميات، و انتخب سكرتيرا عاما للحزب الشيوعي عام 1922 وبعد وفاة لينين في عام 1924م خلفه ستالين رئيسا للمكتب السياسي، و في عام 1936 جرى ما عرف باسم محاكمات موسكو أو حمام الدم حينما تخلص ستالين من كثير من منافسيه، توفي ستالين في مارس 1953م. أحمد عطية الله، القاموس السياسي، القاهرة، دار النهضة العربية، 1968، ص ص612–613.

(42) الجمهورية الكردية الحمراء: في عام 1923 تقرر تشكيل مقاطعة كردستان ضمن جمهورية أذربيجان السوفيتية، و قد تأسس هذا الاتحاد في المناطق التي كان الكرد يشكلون فيها نسبة 80%، وضمت أربع مناطق إدارية وهي لاتشين مركزا لها، وزانغيلان وكالبادجار وكوباتلين، وترأس أول حكومة كردية "غوس حجيف"، وبذلك منح الشعب الكردي هناك حقوقه، فقد بدأ إصدار صحيفة " كوردستان السوفيتية" باللغة الكردية، و كانت تبث برامج إذاعية بانتظام وتصدر كتب دراسية وسياسية وأدبية باللغة الكردية، غير أن كل ذلك اختفى في الثلاثينيات دون أي تفسير رسمي وأعقبه تهجير إجباري للشعب الكردي من أذربيجان وأرمينيا في عام 1938م ومن جورجيا عام 1944م. ميهظان محمد حسين: المرجع السابق، ص ص32–33.

(43) ميهظان محمد حسين: المرجع السابق، ص ص33.

(44) م. س. لازاريف: المرجع السابق، ص ص276–279.

(45) كانت العلاقات التركية– السوفيتية متوترة خلال تلك الفترة بعد أن انضمت تركيا إلى ميثاق سعد آباد بتشجيع من بريطانيا والدول الغربية. للمزيد من التفاصيل.

(46) م. س. لازاريف: المرجع السابق، ص ص279–280.

(47) جرجس فتح الله: المرجع السابق

(48) م. س. لازاريف: المرجع السابق، ص ص281–283.